مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:01 (جانفي 2023) ص 577– 590
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

رؤية فلسفية استشرافية لمستقبل الأنظمة التربوية –نحو الاستثمار في المورد البشري–

A forward-looking philosophical vision for the future of educational systems - towards investment in human resources –

الدكتورة: يمينة عبيد
Dr: Yamina ABID
جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، abid.philoens@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/10/04	تاريخ القبول: 2022/12/08	تاريخ النشر: 2023/01/22

الملخص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على دور فلسفة التربية في الاستثمار في المورد البشري من أجل الرقي بالأنظمة التربوية، وذلك انطلاقا من تعزيز مركزية الإنسان، تشجيع الابداع والابتكار، تحفيز المواهب وتنمية روح المواطنة من خلال الولاء والانتماء، واعتمدنا في دراستنا على المنهج التحليلي الوصفي.ومن أهم النتائج التي خلصنا اليها ضرورة الإصلاح التربوي وفق إطار فلسفي واضح المعالم، ينبثق من عقيدة الامة وإيديولوجيتها من جهة، والذي يعيد للإنسان دوره المركزي من جهة أخرى وفق أهداف منسجمة مع مضمونه ومراميه للرفع من مستوى وجودة المنظومة التربوية.

الكلمات المفتاحية:الاستثمار في المورد البشري؛ فلسفة التربية؛ الأنظمة التربوية؛ مركزية الإنسان؛ الموهبة؛ الولاء والانتماء.

Abstract

This research paper aims to shed light on the role of the education philosophy in investing in the human resource in order to advance educational systems, based on promoting human centrality, encouraging creativity and innovation, stimulating talents and developing the spirit of citizenship through loyalty and belonging. We have relied In our studythe analytical descriptive approach. The most important results that we have concluded is the necessity of educational reform, according to a clear philosophical framework that stems from the nation's belief and ideologyon the side, and which restores the central role to humans on the other side according to goals consistent with its content and goals to raise the level and quality of the educational system.

Keywords:Investing in the human resource;Educational philosophy; educational systems; human centrality; talent; loyalty and belonging.

المؤلف المرسل: د.يمينة عبيد، **الإيميل**: abid.philoens@gmail.com

1.مقدمة:

تلعب التربية دوراً أساسياً لإعداد الإنسان للحياة، حيث تهيئ له المؤسسات التربوية المختلفة التي تمكنه من النمو والتوازن ضمن إطار فلسفة المجتمع الذي ينتمي إليه، فيكتسب أنماطاً من السلوك، تشكل شخصيته وتجعله قادراً على القيام بدوره الاجتماعي، فيسهم في منجزات أمته، ويشارك مشاركة فعّالة في المحافظة عليها. وتعول التربية المعاصرة على الاستثمار في المورد البشري الذي يعتبر أساس أي نهضة مجتمعية، وركيزة أي تطور ونماء، ومحور العملية التربوية والتعليمية وقد شهدت الدول التي ركزت على الاستثمار في المورد البشري تطورا سريعا على جميع المستويات خاصة على مستوى تطور الوعي الوطني وذهنيات البشر وتعاطيهم مع مختلف تحديات العصر، فكانت الامتيازات والنجاحات التي حققتها هذه المجتمعات نتيجة حتمية لبناء الإنسان وصقله ليكون جوهرا للثورة المعلوماتية الجديدة ومحركا لها.

الإنسان هو عصب الحياة، وعندما نهتم به فسوف تستفيد أمتنا حتما، فكل شخص بداخله طاقة كامنة وأفكار مبتكرة يمكن أن تستفيد منها الإنسانية جمعاء؛ فقط يجب أن يتعلم كيف يحررها وذلك وفق سياسة تربوية معينة وعليه نطرح الإشكالية المحورية التالية:

كيف يمكن الاستثمار في المورد البشري للرفع من مستوى الانظمة التربوية؟ وماهي الأسس وآليات التي يجب أن نعتمد عليها؟

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى ابراز أهمية الاستثمار في المورد البشري كأداة لصناعة مستقبل الأجيال فهو وسيلة لإنشاء فضاءات تعليمية جديدة، وخلق فرص عمل من خلال التركيز على تدريب العنصر البشري وتكوينه لكسب مهارات أكبر تمنحه المساهمة في تحقيق أهداف التنمية في بلد . فصناعة الإنسان أصبحت أكثر تأثيرا ومردودية من الثروات الطبيعية التي تزخر بها بعض البلدان، حيث استطاعت العديد من الدول أن تحول عامل الندرة في مجال الثروات الطبيعية إلى عامل نجاح من خلال التركيز على الاستثمار في المورد البشري وصناعة عقول مبدعة ساهمت في ابتكارات جديدة، كانت لها تأثيرات كبيرة في المجال الصناعي.

ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة و للإجابة على الإشكالية الرئيسية استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي في عرض أساسيات الاستثمار من منظور فلسفي إبستمولوجي. كما قسمنا محاور الدراسة إلى:

المحور الاول: أهمية و أهداف الاستثمار في المورد البشري؛

المحور الثاني: أساسيات الاستثمار في المورد البشري؛

المحور الثالث: ضرورة الاستثمار في المورد البشري لبناء مستقبل تربوي تعليمي ناجح من منظور فلسفي.

2.أهمية و أهداف الاستثمار في المورد البشري

المورد البشري هو بالدرجة الأولى طاقة ذهنية و قدرة فكرية ومصدر للمعلومات والاقتراحات و الابتكارات وعنصر فاعل وقادر على المشاركة الايجابية بالفكر والرأي . و في هذا الصدد يقول الفريد مارشال " إن اثمن ضروب رأس المال هو ما يستثمر في البشر" (الحبيب، 1980، الصفحات 65–66)فالإنسان بطبيعته يرغب في المشاركة و تحمل المسؤولية ، و لا يقتنع بمجرد الأداء السلبي لمجموعة من المهام تحددها له الإدارة ، بل هو يريد المبادرة و السعي إلى التطوير و الإنجاز.

كما أن الاستثمار في المورد البشرييكون من خلال إعداد الإنسان وتكوينه ومن ثم إسناد العمل المتوافق مع مهاراته مؤهلاته، إذ يكفي مرافقته عن بعد وبشكل غير مباشر دون الحاجة إلى التدخل من المشرف أو المسؤول لضمان كفاءة وجودة أداء المهام الموكلة إليه. بالإضافة إلى أن اشراك الإنسان في العمل ضمن مجموعة أو فريق يزيد من نسبة عطائه ومن درجة كفاءته ، و بالموازاة مع هذا ترتفع كذلك النتائج المستهدفة نظرا لزيادة مستوى الوعي في تحمل مسؤولية العمل .

يعتبر الإنسان أهم مورد ثمين، و يسعى الاستثمار فيه إلى تحقيق أعلى درجة من الرضى والدافعية الاستثمار في المورد البشري أساس أي تنمية اقتصادية، ومحور أي نهضة مجتمعية، وركيزة أي تطور ونماء، وقد شهدت الدول التي ركزت على بناء المورد البشري والاستثمار فيه تطورا سريعا ليس على المستوى الاقتصادي فحسب بل أيضا على مستوى تطور الوعي الوطني وعقليات الناس وتعاطيهم مع مختلف تحديات الحياة، فكانت الامتيازات والنجاحات الاقتصادية التي حققتها هذه المجتمعات نتيجة طبيعية لبناء الإنسان وتكوينه ليكون أساسا للنهضة الجديدة ومحركا لها. من خلال مجموعة من الاهداف يمكن حصرها فيما يلي:

1. تعزيز بيئة تنظيمية تتيح مجالاً للإبداع والابتكار، وبث روح الحماس لدى الإنسان.
2. تطوير وترسيخ قيم جوهرية نحو الإبداع والابتكار والتعلم من خلال القيادة الفعالة والتحفيز والاتصال والاشادة بالإنجازات إلى جانب التسيير الرشيد.
3. إتاحة الفرص للنمو والتطور والنضج المعرفي والعلمي والمهني في كل المستويات التنظيمية و الإدارية والفنية.
4. تعزيز الإنتاجية وتحسين جودة الأداء.

5. تشجيع التطور الذاتي والحس المهني لدى الإنسان
6. تعزيز الموقع التنافسي (الميزة التنافسية) من خلال تمكين العاملين علميا ومهنيا وأخلاقيا.
7. تحقيق العدالة في الأجور والحوافز، وتعزيز التقدير والمكانة لدى جميع العاملين.
8. تعزيز روح التعاون وعمليات الاتصال الايجابية في كل المستويات التنظيمية وفي كل الاتجاهات.
9. تحقيق أعلى درجة من الولاء والانتماء.

3.أساسيات الاستثمار في المورد البشري

تقول الحكمة الصينية: إذا أردت أن تستثمر لعام فازرع حنطة، وإذا أردت أن تستثمر لعشرة أعوام فازرع شجرة، وإذا أردت أن تستثمر لمستقبل طويل فازرع في الإنسان، وعليه الاستثمار في الإنسان هو أساس بناء المستقبل.

ترتبط عملية الاستثمار في الإنسان بجانبين متلازمين ومتكاملين أولهما يخص باكتساب العلم والمعرفة والمهارة مشكلا جانب التأهيل ، وثانيهما يتعلق بقضايا العمل والتوظيف ، وهذان الاثنان هما الاساس في تكوين إمدادات الاستثمار في الإنسان وهي:

التخطيط : وُيعَني بوضع الأسس اللازمة لبناء الإنسان وتحديد احتياجاته من المهارة والمعرفة العلمية والثقافية والهنية وغيها والطرق والوسائل الفعالة لتوفير تلك الاحتياجات عبر مراحل زمنية محددة، فغياب التخطيط يؤدي إل عدم وضوح الأهداف، وسوء توزيع الموارد، وخلط في تحديد الأولويات

التوظيف : ويتم من خلاله إتاحة فرص العمل للقوى البشرية التي تم تنميتها وتأهيلها من خلال برامج التعليم والتدريب بما يمكن من استغلال القدرات والمهارات التي اكتسبتها في إنتاج السلع وتقديم الخدمات للمجتمع والاسهام في توفير احتياجاته

التنمية : يشكل هذا العنصر الإطار التنظيمي والتنفيذي لتحقيق أهداف محور التخطيط وإنجاز برامجه حيث يتم من خلاله توفير المؤسسات التعليمية والتدريبية للقيام بخطوات تنمية الإنسان شاملة تنمية القدرات الثقافية والفكرية والمهارات العملية لدى الأفراد لتأهيله لممارسة مسؤولياته كمواطن منتج .

ويقوم الاستثمار في المورد البشري (الإنسان) على العديد من الأساسيات بعضها مادي وبعضها الاخر لامادي أي عبارة عن منطلقات وأدوات معنوية ترتبط أكثر بالجانب الميتافيزقي للإنسان ومن أبرز هذه الأساسيات نذكر(Garton, 2017):

2-1 الأجور: تعتبر زيادة الأجور من أولى أشكال الاستثمار المباشر في المورد البشري بالإضافة إلى أشكال الأخرى وهي التعليم والتدريب، تحسين الرعاية الصحية، واستثمارات أخرى أقل وضوحًا، مثل الوقت والموهبة والطاقة والمكان لاستكشاف أفكار جديدة وفرص التطوير المهن.

2-2 الوقت: ان عدم التخطيط لتوزيع الوقت بشكل عقلاني يهدر طاقات دون نتيجة ملموسة و ناجعة، أو عدة مهام في وقت محدد، يصعب إنجاز مهمة محددة وفي أسوأ الحالات يمكن أن تؤدي إلى إرهاق الموظف. نحن نعلم أن الأفكار العظيمة التي تؤدي إلى اختراقات في الإنتاجية تأتي من البشر الذين لديهم الوقت والموهبة والطاقة للابتكار.

2-3 الطاقة: ان الطاقة هي أكثر الأشياء التحويلية التي يمكن للشركة القيام بها لقوتها العاملة هو الاستثمار في خلق الوظائف وبيئات العمل التي تطلق العنان للإلهام الجوهري. هذا هو المدخل إلى الطاقة التقديرية التي تضاعف إنتاجية العمل: الموظف الملهم هو أكثر من ضعف إنتاجية الموظف الراضي وأكثر من ثلاثة أضعاف إنتاجية الموظف غير الراضي. ومع ذلك، هناك واحد فقط من كل ثمانية موظفين ملهم. نحن نقيس الطاقة التنظيمية من خلال مشاركة الموظفين، وعلى الرغم من عقود من الاستثمار في برامج المشاركة، تظل مستويات المشاركة منخفضة بشكل منهجي وعناد.

2-4 المكان: لا يمكن لأي شخص التعلم والركض في نفس الوقت. يجب أن تبقى في مكان واحد لفترة من الوقت. في الحياة، لن نجد المخارج حتى نتعلم ما نحتاج إلى تعلمه.

2-5 الموهبة والتحفيز: تعتبر الموهبة عنصر أساسي للاستثمار في المورد البشري لكنها تحتاج وجود بيئةٍ محفِّزة ومُلهِمة أولاً، ثم داعمةٍ ومشجعة ثانيًا، فالموهبة أفضل عناصر القوة لدى الإنسان فمتى عرف الشخص مجال تميزه وتعلم تنمية مواهبه سيصل إلى مرحلة الإبداع حتما" ليس لدى العباقرة مواهب خارقة، أو خلايا عصبية أكثر من غيرهم. لكن يكمن اختلافهم في قدرتهم على خلق العديد من الروابط المنطقية، إنها الموهبة التي تمكّنهم من الاختراع، والابداع". (هلال، 2011)

تفتقر الكثير من المجتمعات إلى ثقافة الاهتمام بالمواهب، حيث تتركز معظم الجهود على قياس الأداء، وتحسينه من خلال برامج التدريب والتطوير والتوجيه، حيث أن الاعتماد على هذه الأمر (قياس الأداء) يخلق فجوة تمثل تهديدًا للأداء المستهدف بسبب إهمال دور الموهبة. (هلال، 2011)

وتعتبر التجارب اليابانية ،الألمانية، الصينية، الكورية والماليزية أحسن تجسيد لهذا الاستثمار في أفضل صوره في إدارة المواهب، ففي عصر يتسم بالمنافسة، أصبحت الموهبة رأس مال بشري عالي القيمة.

2-6 الوعي وتكنولوجيا الإعلام والاتصال: في عصر الرقمنة والتكنولوجيا، لم يعد الكبار يشكلون مرجعية للجيل الصاعد على صعيد المعرفة على الأقل، فهم يتقنون التعامل مع تقنيات الإعلام والاتصال، وهنا قد يكون الشباب هدفا للهدر والاستنزاف بإغراقهم في موجات عدة من التقليد الاعمى والتسلية وهذا ما يشغلهم عن القضايا المعرفية الأساسية. لذلك يجب التعامل مع هذه التكنولوجيا الحديثة بحذر ووعي.

فقد أثبتت الدراسات أنه كلما زاد عدد الأشخاص الذين لديهم إمكانية الوصول إلى الإنترنت، كلما زاد نمو الوعي لديهم ومنه إنشاء مجتمعات أكثر ازدهارًا. إلى جانب خلق فرص متعددة كما وكيفا.

يمكن أن يشكل الوعي للتكنولوجيا غرس ديناميكية تؤدي إلى نمو مستدام وشامل. ولكن في ظل عدم وجود فرص لتحقيق التطلعات، فإن الإحباط المتزايد يمكن أن يدفع إلى الفوضى الهشاشة.(KIM, 2017)

2-7 **المعرفة:** الاستثمار في المعرفة يخدم المصلحة العامة، وخطوة أساسية للرقي استثمار للذات وللآخرين لأن المعرفة هي أعظم قوة يمكننا اكتسابها. فقد أكد " Santiago Ramon y Cajal سانتياغو رامون إي كاجال"، الحائز على جائزة نوبل في الطب عام 1906 بفضل عمله على بنية الجهاز العصبي، أن الدماغ البشري يشبه آلة لسك العملات المعدنية. إذا رميت معدنًا نجسًا فيه، فسوف تحصل على الخبث. إذا وضعت الذهب فيه، فستحصل على بعض العملات المعدنية الرائعة. تلخص هذه الجملة تمامًا مدى أهمية تغذية عقولنا بالكتب والمعرفة بشكل صحيح. سيساعدنا هذا على فهم العالم بشكل أفضل.(nospensees, 2020)

"المعرفة هي النور الذي ينير طريقنا". هذا الاقتباس من روبرت فيشر Fisher, Robert مؤلف كتاب The Knight in the Rusty Armor ، ينقل نظرة متفائلة وبناءة للإمكانات البشرية. خاصة المعرفة والتي يرى

انها رافدا من روافد اكتشاف قدراتنا وحدودها، وكذلك البحث عن الحلول الممكنة للتغلب على المعضلات التي تواجه الإنسانية. (Robert, 1987)

2-8 التدريب : يعتبر التدريب مهم للمورد البشري من أجل اكسابه المهارات والخبرات الضرورية لأداء واجبات الوظيفة بالكفاءة المطلوبة و تتعد دوافع التدريب من:

- زيادة الانتاج : إن تدريب المورد البشري على كيفية القيام بواجباتهم بدرجة عالية من الاتقان يؤدي إلى زيادة الكمية وتحسين النوعية
- خفض التكاليف : تؤدي البرامج التدريبية إل رفع الكفاءة الانتاجية للمورد البشري والاقتصاد في الوقت مما يؤدي إل خفض التكاليف نتيجة للمعرفة الجيدة بأسلوب العمل وطريقة الأداء
- رفع معنويات : التدريب يشعر الإنسان بجدية المنظمة في تقديم العون له ورغبتها في تطويره، ما يؤدى ذلك إل زيادة إخلاصه وتفانيه في أداء عمله؛
- توفير اليد العاملة المدربة : التدريب يثل مصدرا مهما لتلبية الاحتياجات الملحة من اليدي العاملة، عن طريق التخطيط والتهيئة للقوى العاملة الطلوبة.
- رفع مستوى الوعي لدى الإنسان : إن تدريب معناه تعريفهم بأعمالهم وطرق أدائها وبذلك يخلق معرفة ووعيا وقدرة على النقد الذات بشكل لا يحتاج معه المدرب إل مزيد من الإشراف والرقابة في أدائه لعمله .
- تقليل حوادث : إن التدريب معناه معرفة الإنسان بأحسن الطرق في تشغيل الألة أو حركة ومناولة المواد وغيرها مما يعد مصدرا من مصادر الحوادث الصناعية ويعمل التدريب على القضاء أو التقليل من تلك الحوادث المرتبطة بهذه العمليات.

3- ضرورة الاستثمار في لمورد البشري لبناء مستقبل تربوي تعليمي ناجح من منظور فلسفي

تؤكد أغلب النظريات المتعلقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى أنه لا يمكن تحقيق أي تنمية دون أن يصحبها مستوى تعليمي قادر على الاستثمار في الإنسان من الناحية التربوية، مما يؤدي إلى بناء اقتصاد قوي أساسه الإنسان حيث ان العائد من الاستثمار في التعليم ليس ماديا فحسب بل هناك عوائد أخرى متمثلة في الارتقاء بالفكر والمعرفة، قبول الآخر، والقدرة على الحوار، علما أن العائد المادي من الاستثمار في مجال التعليم يفوق الاستثمار في المجالات الاقتصادية. نظريا هذا هو الهدف من الاستثمار في الإنسان. والذي يعتمد أساسا من الناحية الفلسفية على العناصر التالية:

1.3 تطوير البرامج التعليمية والاصلاح التربوي

إذا أريد للتربية أن تقوم بدورها الحقيقي في الإصلاح الاجتماعي، وإذا أريد للجهود التربوية أن تستمر، فلابدّ من توافر العوامل التالية(هاشم، 2014):

أوّلاً: فلسفة التربية الواضحة والمتميزة: يجب على المؤسسات التربوية ان تنتهج فلسفة تربوية واضحة المعالم وذات أهداف ناجعة قائمة على التخطيط للمدى البعيد والتي تعطي للإنسان دورا جوهريا لإنجاح العملية التربوية، وتتسع دائرة المؤثرات في حياة الإنسان، فإلى جانب الأسرة والمدرسة تتقدم المؤسسة الإعلامية والثقافية ووسائل التكنولوجيا لتأخذ دوراً فعّالاً في تربيته، لذلك من الضروري أن تكون فلسفة التربية منبثقة من عقيدة الأُمّة، بحيث تعمل المؤسسات التربوية في ضلالها، حيث تعتبر فلسفة التربية هي تطبيق النظرة الفلسفية أو الطريقة الفلسفية في ميدان الخبرة الإنسانية الذي نسميه التربية". فأي تناقض بين هذه المؤسسات ينعكس حتماً على الأنماط السلوكية التي تطرحها من أجل تربية الأجيال، أما اليوم فنشهد الظواهر السلبية في مخرجات العمل التربوي، وما ذلك إلا لعدم تبني إطار فلسفي واضح والذي يقوم عليه كل اصلاح تربوي سواء تعلق الامر بالمناهج أو البرامج التعليمية.

ثانياً: المنهج التربوي القادر على تحقيق الأهداف التربوية الواضحة والمحددة: يشكّل المنهج التربوي المضمون الحي للأهداف التربوية، فهي تحقق عن طريقه، ومن المفروض أن ترسم الأهداف التربوية بحيث تكون منبثقة من الإطار الفلسفي للمجتمع ومنسجمة مع مضمونه ومراميه، ثمّ توضع المناهج من أجل تحقيق هذه الأهداف، لا كما يحصل في كثير من الأحيان، حيث توضع المناهج ثمّ يفكّر بالأهداف، أو توضع الأهداف دون مراعاة الإطار الفلسفي، فتأتي ثمرات العمل التربوي مبعثرة ممزقة لأنها ليست مؤسسة على أساس واضح متين، فالطابع الغالب على المناهج هو الطابع التقليدي الأكاديمي النظري الذي لا يجعل واقع المجتمع ومشكلاته وحاجاته محوراً تدور حوله المواد الدراسية، ولا يتخذ من المواقف الحياتية أساساً للخبرات التعليمية، ويجري التأكيد على المعارف والمعلومات، ولا تحتل القيم والاتجاهات والمهارات موقفاً بارزاً فيها".

ثالثاً: السياسة التربوية الواعية: إنّ السياسة التربوية الواعية والقادرة على مواجهة المشكلات التربوية بموضوعية وجرأة، لابدّ وأن تكون ذاتية بعيدة عن التقليد الأعمى، حيث تنطلق من إطار فلسفي خاص بالأُمة، فتأتي معالجة المشكلة منسجمة مع ثقافة الأُمّة ومنطلقاتها الفكرية.

رابعاً: الطاقات البشرية: إنّ وجود الطاقات البشرية المدربة والقادرة على القيام بالمسؤوليات التربوية من الناحيتين الإدارية والفنية والتي تحمل الولاء للأُمة وعقيدتها ومنهج حياتها الأصيل، لهي ضرورة ملحة لا يتم الإصلاح التربوي إلا بها، فالسياسة التربوية الناجحة، والمنهج التربوي المتطور الهادف، في حاجة إلى الإنسان المخلص القادر على تحقيق الأهداف المرسومة.

2.3 بناء سلوك الإنسان وزرع القيم

مما لاشك فيه أن بناء سلوك الإنسان وزرع قيم الإتقان والإخلاص والكفاءة فيه هي أساس وجوهر ثورة التنمية التي عرفتها تجربة المجتمعات المتقدمة التي عملت على غرس كل القيم الايجابية للرفع من مستوها، "فالوسط الاجتماعي عامل مهم في تربية الفرد فهو يحدث أثرا لا شعوريا خفيا في كل طرق تفكيره وعاداته وكذا في تنمية الذوق السليم وتقدير الجمال"(جون، الديمقراطية والتربية، 1946، صفحة 19) وهناك تكامل وظيفي بين الاستعدادات الفطرية والخبرات المكتسبات من البيئة لبناء سلوك الإنسان" المؤسسات الاجتماعية لا روح فيها من غير الطبيعة البشرية بل تفتقد الطابع الاجتماعي ولا تكتسبه إلا في وجود الإنسان بكل استعداداته الوراثية والفطرية والتي هي بدورها تتغير بفعل تلك الوسائل الاجتماعية" (جون، (1963). الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، 1963، صفحة 129)

وقد ساهم نشر هذه القيم في المجتمع السنغافوري و الامريكي (الولايات المتحدة الامريكية) مثلا رغم تعدد الأجناس إلى خلق نوع من التعايش والانسجام بين مختلف العرقيات والثقافات، وشكل هذا الانسجام أساسا قويا وركيزة متينة لازدهار و تقدم هذه الامم من خلال توعية وتطوير المورد البشري ثقافيا وقيميا كي يكون قادرا على مسايرة التطورات الجديدة. انطلاقا من النظم التعليمية والتربوية التي تشكل اللبنة الاساسية للنهوض ببقية القطاعات.

3.3 المواطنة –الولاء والانتماء –

إن تربية الإنسان يجب ان ترتكز على تنمية روح المواطنة من خلال تكريس مبدأي الولاء والانتماء فالإنسان المنتمي لأمته يبذل النفس والنفيس من أجل رقيها بين الامم وتكون أهدافه مرتبطة بأهداف الامة نفسها، وتغرس هذه القيم مند نعومة الاظافر لذلك يعول على الانظمة التعليمية للقيام بهذه المهمة، التي ستكون ثمارها العطاء والإخلاص. وإنّ الخلل في هذه المعادلة ينعكس على حياة الأُمّة بكاملها، حيث يؤدي عدم العناية بالفرد وعدم تمكينه من حقوقه إلى عدم إخلاصه وضعف انتمائه وبعثرة جهوده، وقلة إنتاجه. إلى جانب الانتماء العميق، لابدّ أن تتوافر في الأجهزة التربوية القدرة اللازمة على القيام بالمسؤوليات، إذ لم يعد من الممكن إسناد الأعمال التربوية لأشخاص لم يعدوا لهذه الأعمال، وإلا كان ذلك من قبيل العبث بمقدرات الأُمّة، وهذا يتطلب تصنيف الوظائف، والعدل في إشغالها، حسب المؤهل والتخصص والكفاءة، كما يتطلب البرامج التأهيلية والتدريبية لرفع كفاءة العاملين من الناحيتين الفنية والإدارية. إنّ تحقيق العدل الوظيفي، والإعداد الكافي للأجهزة يؤدي إلى المردود التربوي المرضي. وما التجربة اليابانية الا دليل قاطع على الاستثمار في المورد البشري من خلال الرهان على المواطنة تنمية الولاء والانتماء، حيث تطرح أسئلة دالة تتعلق بفلسفة النهوض، وعلاقة الهوية والثقافة بالنهضة والتغيير وذلك بالاعتماد على تصور منهجيً ومعرفيً عميق تتبعه تغييرات من الناحية الإجرائية.

بالعودة إلى واقعنا، نلاحظ أن البرامج التربوية قد تكون مسطرة من طرف خبراء أجانب في هذا المجال – يعملون في الخفاء أو علنا–. الهدف من عملهم هو الحرص على عدم تطبيق هذا التغيير في الواقع. بمعنى انهم يستثمرون في المورد البشري لكن بطريقتهم. وهي استعمال التعليم كأداة للتجهيل والبرمجة والتلقين وحتى تحديد سقف التفكير. والابتعاد كليا على الاعتماد في الاقتصاد على الإنسان. أي الاستثمار في المورد البشري بجعله وسيلة لا غاية. أي الاستثمار عكسيا.

4.3 الرهان على عالم افكار

ان التربية هي في الاساس رؤية فلسفية منطلقة من الذات الحضارية أكثر منها مشكلة مناهج ووسائل بيداغوجية كما تطلعنا به الدراسات التربوية، التي تفتقر إلى الإطار النظري والتصوّري للفعل التربوي في أبعاده الثقافية. فالتربية –من منظور مالك بن نبي–مثلا هي أداة معرفية وتطبيقية لتجسيد المشروع النهضوي للأمة الإسلامية وهي ذات جانبين؛ جانب عالم الاشياء وهو العنصر المادي وجانب عالم الافكار وهو العنصر البشري.

وهنا يكمن الاستثمار في الإنسان من خلال البعد الوظيفي للعملية التربوية للإنسان. لذلك يعتبر مالك بن نبي من أوائل المفكرين الذين دشنوا مرحلة الاستثمار في الإنسان لبناء المستقبل، ومن السباقين الذين عولوا على دور الإنسان للنهوض بالحضارة. واعتبر أن أزمة العالم الإسلامي تتمثّل في أزمة الإنسان المسلم، أن أي تشخيص يبتعد عن الإنسان هو يضع القضية في شكلها الزائف، «فالشخص في ذاته ليس مجرّد فرد يكون النوع، وإنما هو الكائن المعقّد الذي ينتج حضارة»(نبي، 1986، صفحة 29)

تتعلّق مشكلة العالم الإسلامي في قلّة الموارد المالية والمادية كما ذهبت إلى ذلك العديد من المقاربات الاقتصادية، التي تناولت مشكلة التخلّف الذي تعيشه المجتمعات المسلمة، ولا من طبيعة سياسية كما تدّعي المقاربات السياسية المعاصرة، التي تُرجع أزمات العالم العربي إلى غياب النموذج الديمقراطي السياسي. فجوهر الأزمة وعمقها يتعلّق بالإنسان المسلم(مهورباشة، 2017) «المسلم هو الإنسان الذي خرج من الحضارة، وكابد مؤثرات هذا الخروج من وجهة النظر الذهنية، وهذا الإنسان لا يزال في الحالة النفسية المتطابقة مع الأشياء»(نبي، القضايا الكبرى، 1991، صفحة 125)

وعليه، إن الفكر التربوي المراد بناءه ينطلق من الاستثمار في المورد البشري الذي أصبح يتميز بالركود الفكري وذلك من خلال احياء الطاقات الكامنة فيه واستغلالها بالشكل الامثل للنهوض بالنظم التربوية والتعليمية التي ستنعكس حتما بصورة ايجابية على مستقبل المجتمع.

ولنجاح العملية التربوية يجب عدم التناقض بين النظرية والتطبيق أي بين المبادئ والممارسات فعندما يؤمن الإنسان بفكرة ما يجب الا تبقى قيد التفكير وسجينة الذهن بل تجسد على أرض الواقع من الناحية الاجرائية، وذلك لتحقيق الأهداف والمرامي المتوخاة من فكرة معينة. هذا إلى جانب اقصاء النزعة الفردية التي تكرس الانانية «إن الصفة الاجتماعية التي تغلب على هذا الإنسان وهي: الفردية التي يغلب عليها تضخّم الأنا ممّا يجعل العمل الاجتماعي المشترك أمرًا مستحيلًا، فالإنسان هو العنصر الأساسي في الحضارة يجب تحريره من عقدة النقص والانبهار بما في الحضارة الغربية، وتحريره من المواريث الثقافية: كالتواكل والكسل، وعدم العمل، ... يجب أن نحدّد له الرؤية الحضارية التي تمكّنه من الفعالية، والتي تعيد مجتمعه إلى التاريخ، لأن النهضة هي أن نجمع بين العلم والضمير، بين الخلق والفن، وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة، حتى يتسنّى له أن يشيّد عالمه طبقًا لقانون أسبابه ووسائله، وطبقًا لمقتضيات غاياته»(نبي، وجهة العالم الإسلامي، 1986، صفحة 35).

5.3 تشجيع الابتكار والابداع

ان تحقيق التفوق لا يكون الا من خلال تشجيع الافكار المبتكرة وخلق بيئة مناسبة للابداع حيث أكَّد ألكسيس كاريل(Alexis Carrel) على ضرورة انشاء مدارس مؤسَّسة على طبيعة الإنسان الحقيقيَّة من أجل تنشئة أشخاصٍ مبدعين وأفراد صالِحين "، إذ يعتقد كاريل أن هناك تفاوت في القدرات بين الافراد لذلك يجب احترام هذا التفاوت و استغلاله في خلق افراد متوفقين و متميزين إذ يقول" فبدلا من أن نحاول تحقيق المساواة بين اللامساواة الجسمية والعقلية يجب أن نوسع من دائرة الاختلاف وننشئ رجالا عظماء".(كاريل، 2003)، ويصر كاريل أيضًا على ضَرورة توفير البيئة الصحيَّة للمتفوقين، وأن تعدَّل المناهِجُ الدراسيَّة تبعًا لمستوى الأطفال، بعيدًا عن عمرهم. ويقترح وسائلَ لمعالجة الضَّعف العقلي، وأهمها: تغيير البِيئة التي يَنشأ فيها الأطفال، وعَزل الفئات العقليَّة الأكثر تخلُّفًا عن الموهوبين وأصحابِ القدرات.

كما أكد على الاهتمام بعِلم الإنسان، والعمَل على بِناء كلِّ العلوم والمناهِج والنظريَّات على طبيعتِه، وسبب ذلك يعود في نظره إلى عجز وفشل علوم الجَماد في تحقيق السَّعادة والأمنِ للإنسان. "ضرورة إحداث تغيُّرات عقليَّة وسياسيَّة واجتماعيَّة، بل أيضًا قَلب الحضارة الصناعيَّة وظهور فِكرة أخرى للتقدُّم البشري..."(كاريل، 2003، صفحة 12)ألا وهي الاستثمار في الإنسان.

4. الخاتمة

بناء على ما تم عرضه سابقا نصل إلى أن ان صناعة المستقبل أصبحت لا تعتمد على ما تمتلكه الدول من موارد طبيعية، بقدر اعتمادها على الاستثمار في الموارد البشرية، فالمال والموارد الطبيعية رغم أهميتهما إلا أنهما ليس لهما قيمة دون العنصر البشرى المدرب المبدع الذي يعتبر شرطًا أساسيًا لتحقيق النهضة الاقتصادية والتنموية والتكنولوجية.

الاستثمار في الإنسان يجب أن يكون رأسمالنا، من خلال ضرورة إعادة النظر في أساليب وطرق تربية الجيل الناشئ وتوجيههم الوجهة الصحيحة انطلاقا من إعادة النظر في الفلسفة التربوية القائمة بحيث تنبع من فلسفة المجتمع المسلم وجهة نظره في الحياة، ولابدّ من إعادة النظر في مناهج التعليم المختلفة، بحيث تتصف بالأصالة في مجال الإنسانية، وبالمعاصرة في مجال العلوم البحتة والتطبيقية، إلى جانب ذلك ضرورة وضع سياسة تربوية جريئة تتصدى لكثير من القضايا فتضع لها الحلول المناسبة، وبجانب هذا توضع البرامج التأهيلية والتدريبية التي

تركز على أساسيات العمل التربوي ، إلى جانب الاهتمام بغرس قيم المواطنة والولاء و الانتماء لدى جيل الناشئ فيشبون على حب الوطن و الاخلاص له .

فالاستثمار في المورد البشري لا يكون الا عن طريق إتاحة الفرصة للأفراد من خلال تهيئة الظروف له للبحث والإبداع والابتكار، لأن ذلك هو الطريق الوحيد والمضمون نحو تقدم حضاري ونهضوي لأي بلد، ويتطلب ذلك إيجاد منظومة تعليمية عالية الجودة، وإنشاء مراكز البحث المتكاملة لإلحاق المبدعين بها، وتهيئة الظروف كافة لهم لتصنيع "الأفكار" "والابتكارات" التي تصنع الفارق .

الاستثمار في الإنسان هو صناعة المستقبل، فالدول العظمى تقدمت الصفوف بالعقول لا بالموارد الطبيعية، إذن لنستثمر في الإنسان. فهو انجح استثمار، وهو المشروع الوحيد الذي لا يمكن أن يخسر.

5. قائمة المراجع:

1. ألكسيس كاريل. (2003). *الإنسان ذلك المجهول* (المجلد الطبعة الاولى). (شفيق أسعد فريد، المترجمون) القاهرة: مكتبة المعارف.
2. جون ديوي. (1946). *الديمقراطية والتربية*. (منى عفراوي وزكرياء ميخائيل، المترجمون) القاهرة: مطبعة لجنة التأليف.
3. جون ديوي. *(1963). الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني*. (محمد لبيب النجيحي، المترجمون) القاهرة: مؤسسة الخانجي.
4. مالك بن نبي. (1986). *ميلاد مجتمع* . دمشق: دار الفكر.
5. مالك بن نبي. (1986). *وجهة العالم الإسلامي*. دمشق: دار الفكر.
6. مالك بن نبي. (1991). *القضايا الكبرى*. دمشق: دار الفكر.
7. محمد عبد الغني هلال. (2011). *إدارة المواهب*. القاهرة: مركز تطوير الاداء والتنمية للنشر والتوزيع.
8. عبد الحليم مهورباشة. (2017). الفكر التربوي عند مالك بن نبي–راسة في الأسس والمنطلقات–. *الكلمة*(العدد 95).

9. محمد هاشم. (2014). الإصلاح-التربوي-في-المجتمع-ضرورة-ملحة. *مجلة هدي الإسلام*(العدد الثالث).

10. مصدق الحبيب. (مارس، 1980). الأهمية الاقتصادية للعنصر البشري. *مجلة الدراسات العربية* (العدد الرابع04).

11. Robert, F. (1987). *The Knight in Rusty Armor* . London: Wilshire Book Company.

12. Garton, E. (2017, Septembre 04). The Case for Investing More in People. Retrieved from https://hbr.org/2017/09/the-case-for-investing-more-in-people. *Harvard Business Publishing*.

13. KIM, J. Y. (2017, Octobre 24). *Investir dans la ressource humaine est un gage de croissance et de solidarité humaine.* Consulté le octobre 04, 2022, sur Banque mondiale: https://blogs.worldbank.org/fr/voices/investir-dans-la-ressource-humaine-est-un-gage-de-croissance-et-de-solidarite-humaine

14. Nospensees. (2020, avril 17). *Il n'y a pas d'investissement plus rentable que celui de la connaissance*. Consulté le octobre 04, 2022, sur https://nospensees.fr/il-ny-a-pas-dinvestissement-plus-rentable-que-celui-de-la-connaissance/